



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل / كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجَلَّةُ

آدابِ الرَّافِدينِ

مجلة فصلية علمية محكمة

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الموصل

العدد الحادي والثمانون / السنة الخمسون

ذو القعدة - ١٤٤١هـ / حزيران ٢٠٢٠م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

ISSN ٠٣٧٨-٢٨٦٧

E ISSN ٢٦٦٤-٢٥٠٦

P ISSN ١٨١٣-٠٥٢٦

للتواصل: radab.mosuljournals@gmail.com

URL: <https://radab.mosuljournals.com>

المجلة العراقية للدراسات والبحوث

مجلة محكمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثقة في الآداب والعلوم الإنسانية

باللغة العربية واللغات الأجنبية

العدد: الحادي والثمانون السنة: الخمسون / ذو القعدة - ١٤٤١هـ / حزيران ٢٠٢٠م

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عمار عبداللطيف عبد العالي (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: المدرس الدكتور شيبان أديب رمضان الشيباني (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير :

الأستاذ الدكتور حارث حازم أيوب	(علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور حميد كردي الفلاحي	(علم الاجتماع) كلية الآداب/ جامعة الأنبار/ العراق
الأستاذ الدكتور عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن	(الترجمة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرايبة	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الزيتونة/الأردن
الأستاذ الدكتور قيس حاتم هاني	(التاريخ) كلية التربية/جامعة بابل/العراق
الأستاذ الدكتور كلود فيننثز	(اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرونبل آلب/فرنسا
الأستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار	(التاريخ) كلية العلوم والآداب/جامعة طيبة/ السعودية
الأستاذ الدكتور نايف محمد شبيب	(التاريخ) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ الدكتورة سوزان يوسف أحمد	(الإعلام) كلية الآداب/جامعة عين شمس/مصر
الأستاذ الدكتورة عائشة كول جلب أوغلو	(اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/جامعة حاجت تبه/ تركيا
الأستاذ الدكتورة غادة عبدالمنعم محمد موسى	(المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/جامعة الإسكندرية
الأستاذ الدكتورة وفاء عبداللطيف عبد العالي	(اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز	(الأدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة
الأستاذ المساعد الدكتورة أسماء سعود إدهام	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
المدرس الدكتور هجران عبدالإله أحمد	(الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير:

التقويم اللغوي: أ.م. عصام طاهر محمد	- مقوم لغوي/ اللغة الإنكليزية
أ.م.د. عمار إسماعيل أحمد	- مقوم لغوي/ اللغة العربية
المتابعة: مترجم. إيمان جرجيس أمين	- إدارة المتابعة
مترجم. نجلاء أحمد حسين	- إدارة المتابعة

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:

<https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=signup> .

٢- بعد التسجيل سترسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنه سجّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:

<https://radab.mosuljournals.com/contacts?action=login> .

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلّق به وبحثه ويمكنه الاطلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

• تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦ / المتن: بحرف ١٤ / الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذكر آنفًا .

• تُرتّب الهوامش أرقامًا لكل صفحة، ويُعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة. ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).

• يُحال البحث إلى خبيرين يرشّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكّم) للفحص الأخير، وترجيح جهة القبول أو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونية ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أن يلتزم الباحث (المؤلف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

• يجب أن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أي: يرسل بدون اسم .

• يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .

- يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (٣٥٠)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنّ التمايز في البحث.
- ٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمّا الشروط العلميّة فكما هو مبين على النحو الآتي :
- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنونها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليّة البحث) .
- يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثيّة أو فرضيّات تعبر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلّها أو دحضها علمياً في متن البحث .
- يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأنّ يحدّد الغرض من تطبيقها.
- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .
- يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتّبع فيه .
- يجب مراعاة تصميم البحث وأسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره وفقراته.
- يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحداثيّة فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.
- يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .
- ٧- يجب على الباحث أن يدرك أنّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكّم البحث ويُعطى أوزاناً لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

رئيس هيئة التحرير

المحتويات

الصفحة	العنوان
بحوث اللغة العربية	
25-1	سلطة (الكيف) وذاكرة الفنجان قراءة سيميائية في لوحات الإشهار لمجلات القهوة بمدينة أهما الباحث الرئيس: عبد الحميد سيف الحسامي
41-26	بلاغة الإقناع في الخطاب الكنائسي. خطبة الإمام علي (عليه السلام) في صفين أنموذجاً. أزاد حسن حيدر
115-42	تَقْيِيدُ الْمُسْتَدِّ إِلَيْهِ بِالنَّعْتِ. دِرَاسَةٌ نَحْوِيَّةٌ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ*. علي فاضل سيد عبود الشمري
135-116	بلاغة الصوت والكلمة والجملة في النص القرآني – سورة الإخلاص أنموذجاً – عمر خليل حمدون الهاشمي
229-136	رسالة قراءة حفص رحمه الله تعالى دراسة وتحقيق كريم ذنون داؤد سليمان
252-230	تشظي الهوية في رواية حارس التبغ للروائي علي بدر سحر ريسان حسين
284-253	صبيغ جموع التكسير المخالفة للقياس في ديوان الفرزدق – دراسة دلالية – رنا طلال سليمان
328-285	ميمية حميد بن ثور الهلالي دراسة اسلوبية فنان نديم دحام آل ابلش
367-329	آيات السجدة في القرآن الكريم دراسة بلاغية شيماء أحمد محمد
389-368	دلالات الصحراء في رواية (البحث عن المكان الضائع) لإبراهيم الكوني سروة يونس أحمد
بحوث التاريخ والآثار	
406-390	باد الكوردي أبو عبد الله الحسين بن دوستك وصراعاته مع الأمير البويهي عضد الدولة وأولاده (367-380هـ/977-990م) عمر أحمد سعيد
451-407	النفوذ الاسلامي في بلاط وحكومة امبراطورية المغول 603-766هـ/1205-1365م رغد عبدالكريم أحمد
485-452	نماذج من الرحوات في الموصل في أواخر العهد العثماني دراسة وثائقية عروبة جميل محمود
515-486	دور السلطان وتوجهاته في قيادة المعارك في الهند خلال عصر السلطنة الإسلامية (602-932هـ/ 1206-1526م) ياسر عبدالجواد حامد المشهداني ولقاء خليل إسماعيل يحيى الغزالي
540-516	الحركة النقابية في تركيا 1980-2010 اسماعيل نوري حميدي
574-541	العاقولي في عرف الطبيب دراسة في سيرته ومنهجه العلمي رنا سالم محمد الحفو
605-575	رئاسة الجالوت اليهودية في بغداد في العصر السلجوقي من خلال الرحلات اليهودية (447 – 590 هـ / 1055 – 1193 م) خضر إلياس جلو
626-606	زين الدين علي كوجك نائب قلعة الموصل (539_563هـ/1145_1168م) دراسة في سيرته ودوره السياسي والاجتماعي صهيب حازم عبد الرزاق الغضنفر

655-627	عمار ظاهر مصلىح	مصر ومحاولات التسلح من الدول الغربية 1950-1954
697-656	غادة قحطان حسن	دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الصليبي في الأندلس
720-698	نكتل يوسف محسن	محن المسلمين بالمدينة المنورة وأثرها الايجابي على المجتمع الإسلامي من (2-6هـ)
بحوث علم الاجتماع		
743-721	شفيق ابراهيم صالح الجبوري	المخطط النظري للنظرية الاجتماعية دراسة تحليلية
767-744	فراس عباس فاضل البياتي ونادية صباح الكبابجي	التحول السكاني لمراحل الانتقال الحضري دراسة تحليلية في الديموغرافية الحضريّة
809-768	عبد القادر بغدادباي	"قضايا المجتمع" بإذاعة غليزان الجهوية
828-810	قصي رياض كنعان	الخصوصية الثقافية والثقافة الشعبية- مدخل انثربولوجي دراسة نظرية في مستقبل الثقافات الشعبية
845-829	هديل تومان محمد	أزمة الهوية والثورات الوطنية منظور سوسيولوجي في التهميش والإقصاء
بحوث المعلومات والمكتبات		
873-846	عمار عبد اللطيف زين العابدين	مواصفات ومعايير الدوريات العلمية بين المفهوم والتطبيق
بحوث الشريعة الإسلامية أصول الدين		
892-874	عابد حسن جميل وكريم محمد ككو	مفهوم النص أصوله وتطبيقاته في الشريعة والقانون
بحوث طرائق التدريس وعلم النفس التربوي		
931-893	صبيحة ياسر مكطوف ورؤى احمد شوكت	فاعلية برنامج تربوي لتنمية الجودة النفسية لدى طلبة المعهد التقني/الموصل
990-932	فضيلة عرفات محمد	قياس مستوى الذكاء لدى الأطفال المولودين بالعمليات القيصرية واقرأنهم المولودين ولادة طبيعية (دراسة مقارنة)
1021-991	علي شاحوذ رجب شلال	تقويم منهج البلاغة والتطبيق للصف الخامس الأدبي
1044-1022	عدنان عبدالله علي الجبوري	تقويم محتوى كتاب التربية الاسلامية للصف الثاني المتوسط من وجهة نظر مدرسي المادة ومدرساتها وفق معايير معينة
1080-1045	علي داخل جبر الحسنواي وعلياء صبيح احمد الخشاب	مهام المرشد التربوي داخل المدارس المتوسطة من وجهة نظر الطلبة

تشظي الهوية في رواية حارس التبغ للروائي علي بدر

سحر ريسان حسين *

تأريخ القبول: 2019/11/11

تأريخ التقديم: 2019/10/14

المستخلص :

إن البحث في موضوعة (الهوية) وتقصي حقيقة انشطارها وتشظيها وتموضعها وما يحيل إليه فضائها المنفتح على الذات والاخر والكنيونة والوجود والثبات والتعدد والانفتاح والخصوصية يشكل مما لا ريب فيه بحثاً مهماً، فليست الهوية كياناً يعطى دفعة واحدة إنها حقيقة تولد وتتطور وتتغير وتعاني استلاباً وتحولات وجودية وكارثية تخلخل أنساقها وتهدد اساسيات ومقومات وجودها ومسارات تكاملها، ولأن فضائها هو فضاء الحراك الانساني بعوالمه المتعددة ومزاياه المتجددة ، إنه فضاء حاوي ودامج لنجاحات واخفاقات وتنافرات ومفارقات ، فضاء متعدد متناقض إذ يضم الفرد الواحد الذي فقد وحدته وانسجامه مع ذاته فلم يعد ذاتا واحدة بل تعددت الذوات المتعارضة والمتباينة حسب الظروف والسياقات والانساق التي فعلت مؤثراتها وأملت عليها قوانينها واشتراطاتها القاسية والتي شرعنت التشظي وجعلته بنية لازمة ورهاناً متجسداً وصيرورة لا غنى عنها لتوليد المعنى وتشكيل الدلالات وإثرائها في ثنايا وتمفصلات الفضاء الهوياتي اللانهائي .

الكلمات المفتاحية : الهوية؛ الانتماء؛ الموسيقى

المقدمة :

ومن الجدير بالذكر ان القضية أخذت مسارات عديدة وذلك بقدر تعلق الامر بموضوعة تشظي الهوية إذ تمظهرت القراءة على وفق محورين قدمنا لهما بتعريف اصطلاحي وتحديد لموضوعة التشظي ومصطلح الهوية ، وقرأنا بعد ذلك في المحور الأول التعلقات الجوهرية بين الهوية وبنية التشظي / وهم الانتماء وحتمية الموت ،

* أستاذ مساعد / قسم اللغة العربية/ كلية التربية للبنات/ جامعة الموصل .

في حين رصد المحور الثاني خطى العلاقة الجمالية بين التشظي الهوياتي والفعل الموسيقي معلناً عمق تلك العلاقات ومبررات وجودها ومزاياها وذلك حسبما قدمته قراءة وتقصي المتن الروائي (حارس التبغ) (1).

إذا انطلقنا من مفهوم التشظي 'بوصفه محوراً أساسياً يحدد مسار هذه القراءة ويبحث في حيثياتها لوجدنا إن لفظة التشظي تحيل في المستوى اللغوي على دلالات ومعان سلبية ، فتشظى الشيء إذا ((تفرق وتشقق وتطاير شظايا)) (2) . ولأن التشظي يمثل ((تجربة يومية نعيش فيها توزع الهم وتشقت النفس بين خيارات عديدة كلها محدودة 'وكلما ازداد تشظي الذات كلما هبط سقف العالم وضاق الأفق الذي يحدها ويحول دون ادراكها لحقيقة وجودها وسبرها لإمكانات ذلك الوجود)) (3) ولأن عنوان القراءة يقر بتشظي الهوية الذي يضيق به الكون حتى يتحول الى قائمة نجاحات حققها واحباطات لا مفر منها واثياء تتوزع حول نفسه بينما نفسه ممزقة تتساقط انفساً)) (4) إذ يبدو أن تشظي الهوية يتبلور هنا كحقيقة منطقية تشتمل على بذور فنائها وانشطارها بفعل مسببات وعوامل متعددة تتقن تشويهاها وتشظيها .

وقد ارتأينا من منطلق إجرائي منهجي أن نخرج على تحديد ماهية الهوية بوصفها جوهر هذه المقاربة وأساس انطلاقها ولأن مسألة الهوية مازالت تثير حيرة وتساؤلاً متواتراً لدى النقاد والباحثين في شتى المجالات : الادبية والفكرية والفلسفية

(1) علي بدر كاتب وروائي عراقي حصل على شهرة واسعة النطاق بسبب رواياته واعماله الادبية ، ولد في بغداد وعاش فيها حتى انتقاله الى أوروبا في بلجيكا بعد ترجمة أعماله إلى لغات عديدة ، دشن تيار ما بعد الحداثة في الرواية العربية ، وأعماله وثيقة الصلة بحياته من جهة ومن جهة أخرى هي مرآة عاكسة للحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية في العراق ومن رواياته : أساتذة الوهم ، بابا سارتر ، الجريمة والفن وقاموس بغداد ، الركض وراء الذئب ، حارس التبغ ، شتاء العائلة ، صخب ونساء وكاتب مغمور ، الطريق إلى تل مطران ، مصابيح أورشلين ، ملوك الرمال ، الوليمة العارية . الشبكة الدولية للمعلومات الانترنت الموقــــــــــــــــع الالكتروني :

[www.iki,https://ar.m.wikipedia.org](https://ar.m.wikipedia.org/wiki/www.iki)

(2) لسان العرب / ابن منظور /باب الشين - شظى / المجلد الرابع /2268.

(3) جماليات التشظي (دراسات نقدية في ادب ادوارد الخراط وبدر الديب) / 13-14

(4) ينظر : جماليات التشظي / 18 .

والثقافية والتاريخية والمعرفية من ناحية ضبط المفهوم والمصطلح، إذ ثمة تحديات تواجه الهوية في مجتمعاتنا لأنها تمثل الميزة الثقافية التي يجب أن تواجه بها مجتمعاتنا التشدد الديني والتعصب الطائفي والقومي، فضلاً عن إن مسألة الهوية قد طرحت تساؤلات واشكاليات عدة حول أصلها وماهيتها ولكونها ظلت دوماً مصطلحاً يتطلب التجديد والتنوع في الطرح والمعنى والنتائج، فالهوية تعني ((تميز الذات من جهة وأثبت وجودها في دائرة معينة في حدود واضحة المعالم، انطلاقاً من قناعة راسخة وفكرة مهيمنة تحتم على صاحبها عدم الذوبان في غيرها))⁽¹⁾، وي طرح مفهوم الهوية معانٍ متعددة فهي الحقيقة المطلقة مثلما يذهب الجرجاني في كتابه التعريفات، فالهوية ((الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق))⁽²⁾ وتأخذ معنى المرجع أو المنبع والمصدر فالهوية هي ((الأصل والجوهر فالهوية من (هو) بمعنى جوهر الشيء وحقيقته وبالتالي فإن هوية الشيء هي ثوابته التي تتجدد وتتغير لتفصح عن ذاتها ما بقيت الذات قيد الحياة))⁽³⁾ وبهذا تتعدد دلالات التعريف اللغوي للهوية وكأنه مفهوم يفلت عن التحديد لتتقاطع وتشتبك ضمنه مختلف الحقول والاختصاصات المعرفية بخطاباتها المتعددة، فهو المرجعية تارة والجوهر والحقيقة المطلقة والخصوصية التي تضيفي التميز والتفرد عن الآخرين تارة أخرى بوصفه ((طريقة للحضور في العالم))⁽⁴⁾ لأنها تمثل قيمة اعتبارية فكرية ووجدانية ووجودية هدفها حماية الذات من السقوط في أتون الجنون وحبال الحيرة والشك القاتل لاسيما إذا ما واجهت كل ما من شأنه أن يفككها ويشرعن نفيها وتشظيها .

(1) الهوية في الخطاب السردي بين سلطة اللغة وهيمنة الانتماء / عمار حلاسة / الملتقى الدولي

حول السرديات / جامعة ورقلة - الجزائر /354

(2) كتاب التعريفات / الجرجاني /278

(3) صورة الآخر في الشعر من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي / فهد سعد الدويخ

20 /

(4) سؤال الهوية ونقد منطق الخصوصية /د. وفيق سليطين /مؤتمر الهوية الوطنية - قراءات

ومراجعات في ضوء الازمة السورية /6 .

وفي هذا السياق نجد أنه من المفيد أن نخرج على الهوية من المنظور الفلسفي والذي فرضت فيه الهوية نفسها كمصطلح فلسفي ((يستدل به على كون الشيء هو نفسه))⁽¹⁾ فالإحساس بالهوية يمثل ((مركب من المشاعر المادية ، ومركب من مشاعر الانتماء ، والتكامل ، والإحساس بالاستمرارية الزمنية ، والتنوع والقيم ، والإحساس بالوجود))⁽²⁾ ووفقاً لذلك تبرز الهوية كمصطلح عصي عن التحديد رغم المحاولات الدائمة لتفكيكه لأنه فيض يتجدد لا يعرف الاكتمال و الانجاز والانتهاه لصلتها الوشيحة بالإسنان وحيواته وازمانه المتجددة فالهوية مصطلح يستحق المزيد من التأمل المستمر لتكون في المحصلة النهائية ((جملة من العلاقات والروابط العقلية (اجتماعية -اقتصادية -ثقافية)نسجها تطور تاريخي محدد في الزمان والمكان قاصدة ابعاد ثلاثة هي علاقة الذات بذاتها وعلاقة الذات بالموضوع وعلاقة الانا بالآخر))⁽³⁾ وبالتالي تظهر الهوية كنسيج علاقي متواشج مبني على ثنائيات الوحدة والتعدد والتماثل والاختلاف والانكماش والانفتاح والثابت والمتحول لهذا لا يمكن اختزالها وحصرها بحدود لأنها معاشة على مدى الازمان واختلاف الامكنة وتحولها وتطور حركة التاريخ واتساع الفضاء الثقافي والانساني.

مظاهر التنظي الهوياتي في رواية (حارس التبغ)

يبدو إن سرد الهوية والاحتفاء بالخصوصية العراقية سمة بارزة انمازت بها عدد من النصوص الروائية التي قاربت موضوعة الهوية وجعلت منها هوية متفاعلة ممتدة وحاضرة تتشابك في عوالمها أزمنة وتجارب وحيوات وفضاءات ومرجعيات متباينة : فكرية - ثقافية - سياسية - ادبية لتتصل في مجملها ومحصلتها بقيم تأصيل الذات وتجذير كيانها....ورواية حارس التبغ للروائي (علي بدر) احدى اهم النصوص الروائية الحداثية التي طرحت اشكالية الهوية وأثارت سؤال تشظيها

(1) كتاب الحروف / الفارابي / 115-116

(2) الهوية / اليكس ميكشيللي / 129

(3) بول ريكور الهوية والسرد /حاتم الورفلي / 31

والتباسبها، وإذا كانت الهوية هي أساس الوجود والكينونة والأصل و الاحساس بالثبات فإن التشظي في رواية حارس التبغ هو اجتثاث من هذا الاصل وتشويه له . إن المنجز الروائي الثر لعلي بدر يعد وثيقة أدبية سردية ذات صلة رصينة بالطبقة الوسطى للمجتمع العراقي والتي تأخذ على عاتقها إعادة قراءة وإنتاج التاريخ المعاصر للعراق لاسيما الثقافي منه))⁽¹⁾ ويلاحظ من خلال قراءة المدونة السردية (حارس التبغ) إن تشظي الهوية قد اتخذت محورين اساسين :

اولا :- الهوية المتشظية ونحت الهوية (هم الانتماء - حتمية الموت)

إن تحقيق الذات وإثبات الهوية في رواية حارس التبغ يتواجه بتفاعل مرجعيات سياسية وثقافية وفكرية ودينية تشرعن النفي بوصفه منظومة متأصلة ومتجذرة وكفعل حقيقي يمارس ضد الهوية فحيثما ((تواجه السلطة تحديا تنتج آلياً لاهوتها الخاص بها))⁽²⁾ وفي رواية (حارس التبغ) تسعى شخصية (يوسف سامي صالح) صاحب الهوية - الاصل - اليهودية وكما يقول (موريس بلانشو) للذوبان ((والوحدانية داخل العالم او الوحدانية على مستوى العالم حيث الانا تخاطر دائماً في سبيل أن تكشف العدم الذي يذوبها، وبموازاة هذه الوحدانية يولد فشل التواصل الخارجي الذي يجعل الانسان في مواجهة القلق والعدم وحتمية الموت))⁽³⁾ وبمواجهة هذا العدم تسعى الشخصية لنحت الهوية 'هوية جديدة هدفها البقاء في الوطن والتشبث به او العودة اليه اولاً ولحماية نفسها من مصاعب الحياة وتحولاتها ثانياً ، فالهوية عند يوسف ((ليست كينونة مصمتة او مضروبة على خصائص ثابتة ، بل هي ذات طابع حركي يؤلف بين الثبات والتغير وبين الوحدة والتعدد وبين التماثل والاختلاف فقدرها ان تحيا منتثية على انشطارها))⁽⁴⁾ ففي كل مرة يفقد يوسف سامي هويته الاصل يسعى نحو تأصيل وتجذير ونحت هوية جديدة متحولة ومتشظية

(1) ينظر الانتلجنييسيا العراقية في عالم علي بدر الروائي (دراسة في الرؤى والتمثلات) / محمد

فاضل المشلب / 9

(2) فن الرواية / ميلان كونديرا / 106

(3) الفوضى الممكنة (دراسات في السرد العربي) / عبد الرحيم العلام / 65 - 66

(4) بول ريكور الهوية والسرد / 38

عن الهوية الاصل ومنشقة عنها ومتلازمة معها، وتمثل هذه الهوية المتشظية مقاومة تنويرية متجددة ضد النفي الظاهر والمبطن والكبت في المجتمع والدولة لان الهوية كما يرى (بول ريكور) تمثل ((تقاطع بيولوجي همها الرغبة في الوجود ، وبيولوجي همها التموضع داخل الاجتماع))⁽¹⁾ ولهذا تسعى الشخصية - الذات في الرواية للعمل على إيجاد موطن قدم بنحت هويات جديدة لتمتلك من خلالها وبموازاتها وجودها الواقعي أو التخيلي ، ففي خضم التحولات والانقلابات اللاعقلانية التي مرت بها الذات وواجهتها فإنها أُجبرت على إعادة تشكيل هويتها لتصبح الهوية موضوعاً وحياة تتولد وتعاش وتتشكل في كل مرة يتزعزع فيها الوطن /العراق ((وسيطها لذلك الخيال والفعل بما هما حكايا ابداعية عن الذات))⁽²⁾ اذ تعرض لنا الرواية يوسف بصفته ذاتاً تعرضت لعملية الاقتلاع من الجذور إثر عمليات التهجير التي واجهت اليهود في العالم وفي العراق آنذاك ، اذ تسعى للحفاظ على هويتها العراقية من خلال التموضع في هويات بديلة عن الهوية الاصل ، هويات متحولة هدفها ((الحفاظ على هويتها ... وهي ليست بالكيان الذي يعطى دفعة واحدة انها قيد البناء على نحو دائم وهذا يعني انها لا تتمتع بأي استقرار))⁽³⁾ فيواصل البحث الحثيث عن هويته الشخصية التي تضمن تواصله ووجوده من خلال الاستعانة بلعبة الهويات المستعارة التي تبدو ((كتشكيل تراجمي يومي بوطأة القدر الجاثم على كل الذات شقاءً واحداثاً مفزعة))⁽⁴⁾ ، ويواجه القارئ لرواية حارس التبغ اعترافاً من الراوي بممارسته لعبة الهويات المستعارة التي تتمظهر اولاً بهوية (حيدر سلمان) الهوية المتشظية عن هوية (يوسف سامي) إذ يقول الراوي في هذا المشهد الروائي ((وهكذا بنيت حياته بشكل لا لبس فيه وزيف ما كانوا يطلقون عليه الهوية الجوهرية ، ذلك لأن حياته تبين امكانية التحول من هوية إلى هوية عبر مجموعة من اللغات السردية ، ففتحول الهوية إلى قصة يمكن الحياة فيها وتقمصها

(1) المصدر نفسه / 34

(2) م. ن / 7

(3) الاخر في الرواية النسوية العربية / نهال مهيدات / 11

(4) بول ريكور الهوية والسرد / 8

.....وهنا يطلق هذا الفنان ضحكة ساخرة عن صراع الهويات القاتلة عبر لعبة من الاسماء المستعارة والشخصيات الملتبسة والاقنعة الزائفة ((⁽¹⁾ إنها لعبة الهويات المنتحلة والاسماء المستعارة والملتبسة التي يقر الراوي بها في مستهل الرواية وتبعاً لذلك فإنه ((لا يوجد سياق خالد لحيواتنا ، نحن متموضعين تاريخياً حسب انتوني نيسلتون بمعنى انه لا يمكن فهم حيواتنا إلا في سياق اللحظة التاريخية الحالية ، كل ما يعنينا هو الحاضر ، فلا تأثير للماضي ، اما المستقبل فهو مفتوح على كل الاحتمالات))⁽²⁾ إذ يجد القارئ نفسه امام لعبة ثلاثية الاطراف ((وهكذا قد فعل كمال مدحت ، فكانت له ثلاث شخصيات كل شخصية لها اسم وعمر وملامح وقناعات ومذهب مختلففسامي صالح هو الموسيقار اليهودي ، الليبرالي والمنتور ولد في العام 1926 في بغدادوحين دخل طهران اتخذ لنفسه شخصية حيدر سلمان وهو موسيقار ولد في عائلة شيعية متوسطة وقد ارتبط بالحركة الشيوعية طوال الستينات وتقول موسوعة الموسيقى العراقية إنه توفي في طهران في العام 1981 ، وحين دخل من دمشق الى بغداد دخل بهويته وشخصيته الثالثة وهي شخصية كمال مدحت وهو الموسيقار المعروف ، ولد في عائلة من التجار تقطن الموصل في العام 1933))⁽³⁾ إن كل هوية هي في ذاتها جزء من حياة منغمس في سياق حي للتفاعل و التواصل بل وربما البقاء والقصد والتخيل والالتباس والغموض لأنه فقد اسمه وهويته وكل هذا قد يومية إلى رؤية النص للعالم التي تتصف بالتوتر والاضطراب وانكسار الاحلام وتفتيت الأمانى))⁽⁴⁾.....وهناك دائماً هوية تالية وقصة تالية مختلفة ومحتملة يمكن ان تحكى))⁽⁵⁾ لأن ((الحياة تفتح دائماً خيارات واقعية

(1) حارس التبغ / علي بدر / 33

(2) أفق يتباعد (من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة) / اماني ابو رحمة / 52

(3) حارس التبغ / 12-13

(4) ينظر انماط الرواية العربية الجديدة / د. شكري عزيز الماضي / 109

(5) ينظر السرد والهوية (دراسات في السيرة الذاتية والذات والثقافة) / تحرير جيتز بروكيمير -

ومتخيلة تشمل معاني وهويات وتستدعي تفسيرات أكثر حتى مما يمكن أن يعبر عنه عدد كل قصص الحياة الممكنة ((⁽¹⁾).

إن الذات في رواية حارس التبغ تنتقل من هوية لأخرى مغايرة وملائمة لظروفها تختلقها أو تتشارك في اختلاقها مع اطراف صديقة او معادية ، لقد حول يوسف سامي حياته إلى سرد هوياتي يؤسس للذات ويحافظ عليها وعلى تاريخها وعلى ارتباطها ببلدها ، فحينما نفي يوسف اليهودي الهوية من العراق إلى اسرائيل لم يستطع المكوث هناك بعيداً عن بغداد .. عن الماضي ، إذ يبرر المشهد الروائي التالي التحول الهوياتي من يوسف إلى حيدر إلى كمال ((وهكذا تبين حياة كمال مدحت ان الهوية ترتبط على الدوام بواقعة سردية ، فهي حكاية تلفق او تفبرك وتسرد في لحظة هي مطلقة الاعتباطية ، في لحظة تاريخية موضوعة يتحول الآخرون فيها إلى آخرين واغرب واجناب ومنبوذين ايضا ،..... وهكذا تبين حكاية هذا الفنان ان الهوية هي حركة من حركات التوضع وسياسته ، فما ان تجد لها موضعاً في حركة تاريخية معينة حتى تغيره في لحظة تاريخية اخرى فكل جماعة وهي تفقد جذورها في الزمان فإنها تعتمد إلى استعادة افقها المفقود ولا يمكن لها استعادته إلا من خلال السرد والخيال))⁽²⁾ وذلك ما نجد صداه لدى بول ريكور حينما رأى إن ((الهوية سردا يؤسس للذات وذلك بجعل حياتها قصة مقروءة من ذاتها ومنتقاة من جموع غيرها وهم بدورهم لهم ذات السرد وذات القراءة))⁽³⁾ ، لقد برع يوسف سامي المنفي باختلاق هوية جديدة مغايرة هي ليست هوية باسم ومهنة فحسب وإنما هي حياة جديدة تعاش وقصة مختلقة تسرد وانها رغم اختلافها وتشظيها الا أنها تقدم ((اختلافاً في خدمة الحضور))⁽⁴⁾ كما يرى دريدا ، إذ يقول الراوي ((في العام 1953 رحل يوسف سامي من تل ابيب إلى موسكو لحضور حفلة موسيقية ، إذ تعرف فيها على عازف الكمان الشهير (سيرجي او يستراخ) وساعده الاخير على

(1) السرد والهوية / 18

(2) حارس التبغ / 14

(3) بول ريكور الهوية والسرد / 28

(4) المصدر نفسه / 30

الهرب من ايران ايام حكم الشاه (رضا بهلوي) مرورا ببيراغ ...حيث دخل إلى العراق باسم (حيدر سلمان)، ولد في بغداد في العام 1924 ،درس الموسيقى في طهران وموسكو وولد له في العام ذاته ابنه حسين ((⁽¹⁾ .إن ضياع الهوية وتشظيها خلخل الذات وجعلها مهددة بالتلاشي والاندثار وهذا ما دفع به لمحاولة استعادتها ، فالهوية والوطن شكلا الفردوس المفقود الذي لا بد من نيله والانتماء له بأي صورة وشكل ممكن ((فما نفقده نستعيده صوراً في منام في مرايا الوجوه وفي قلق الذاكرة ((⁽²⁾ فكان رهان البحث عن هويات بديلة هو الامل والحلم وهو أيضا قلق الوجود ، وإذا كانت الهوية في أهم وجوها تعني الأصل والوجود والانتماء ، فإن التشظي في رواية حارس التبغ وتلبس هويات مشوهة تعني استنراك وهمي لهوية ضائعة ولوطن أستبعد عنه بقوة الانظمة وسطوتها ولا بد من العودة إلى الوطن ((فما كان يهمله هو العودة الى العراق ، والعودة الى العراق لم تكن تعني له اكثر من المكان الذي كان يعزف فيه فيما مضى موسيقاه))⁽³⁾ إذ يمهد الراوي في القسم المعنون (حارس القطيع من حياة يوسف سامي صالح) إلى هذه الرغبة العارمة في التغيير الهوياتي فيقول ((كل شيء في داخله كان ينزع نحو التسامي ،كل شيء في داخله ينزع نحو الاعلى ، لقد شعر يوسف أن داخله حنيا عميقا وجارحا للتلاشي في الاثير ، رغبة مجهولة للذوبان والامحاء ، هذه الهوية ثقيلة عليه ، دافعة له للماضي والغرق والنسيان وأراد الخلاص منها عن طريق التلاشي والهروب والاختباء وإن لم يكن ممكناً فعليه الاختباء بشخصية اخرى وخلف اسم جديد وحياة جديدة))⁽⁴⁾ إذ يتبين انشطار هوية يوسف بين هويته الاصل والهويات المتشظية ، هو منشطر بين اختيار المنفى الحتمي وبين الواقع المرير لأنها تحيا في ((عالم لا

(1) حارس التبغ / 17

(2) الرواية العربية - المتخيل وبنيتها الفنية / يمى العيد / 280

(3) حارس التبغ / 173

(4) حارس التبغ / 154-155 .

تسيطر عليه وتشعر بالعجز عن تغييره ، لا تمارس حريرتها وبذلك تفقد وجودها ،
ويصبح وجودها مثل العدم)) (1).

ويواصل تشظي الهوية وانشطارها حفرياتة في ذات الشخصية الروائية ، إذ
يقول الراوي في هذا المشهد الذي يشهد فيه التحول الهوياتي من يوسف إلى حيدر
((ثم قدم له جوازاً مزوراً باسم حيدر سلمان بمهنة موسيقي وقال أنه سيبقى فترة
من الزمن في طهران ثم بعد ذلك يدخل بغداد)) (2) ، لا يحمل المنفى سوى وجهاً
واحداً ، ولا يحيل إلا على دلالات معروفة ومألوفة ومعاشة لذلك تعاود الذات التفكير
بقلقها الوجودي وبهمها المتواصل هم الانتماء للوطن وبأية وسيلة متاحة لأن ((
المنفى مكان يتعذر فيه ممارسة الانتماء)) (3) على العكس من الوطن الذي يتحول
فيه الانتماء إلى وهم الانتماء أو لنقول هم الانتماء ، هذا الشعور الذي كان يجتاح
يوسف أو حيدر سلمان ويراوده للوصول إلى الانتماء وذلك عبر ((الاحتماء وراء
اسوار هوية حقيقية ، أو متوهمة)) (4) هوية مزيفة قائمة على انقراض هوية أخرى
يتلبسها ويجعلها معماراً لترميم خيباته المتناسلة إذ يقول ((وكان جواز السفر
المزور الذي يحمله يمنحه شخصية جديدة ليس بالاسم فقط وحين جلس مع
كأكة حمة في موسكو قدم له الاخير معلومات كثيرة عن هذه الشخصية كي يخلق
نوعاً من المواعمة معها ، فهو ابن تاجر في سوق الاستربادي في الكاظمية ، درس
الموسيقى في موسكو ... وهو معروف بتعاطفه الشديد مع القوى اليسارية ، وهكذا
فإن تاريخ شخصيته الثانية مختلف جدا عن تاريخ شخصيته الاولى وهو ملزم بطبيعة
الامر بتقمص هذه الشخصية وتجسيدها ان ما كان يهمله فعلا هو العودة الى

(1) الهوية والاعتراب في الوعي العربي /حسن حنفي / مجلة تبين / ع 1- مج 1 /صيف
11/2012 .

(2) حارس التبغ / 163 .

(3) الانتلجنيسيا العراقية في عالم علي بدر الروائي (دراسة في الروئ والتمثلات) / 182 .

(4) النص -السلطة -الحقيقة (الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة)/ نصر حامد ابو

زيد/ 27 .

العراق))⁽¹⁾ إنها هوية بأبعاد كاملة ليست اسماً فحسب بل دين ومذهب وحياة إذ ((يمكن عد أسماء الشخصيات نصوصاً لهوية أثنية أو دينية))⁽²⁾ وهذا ما أكده السرد فيما بعد إذ عاد بهويته الجديدة إلى بغداد بعد ثورة تموز 1958 وقطن في منزل في محلة الكرادة فتحول يوسف إلى اسم جديد ((حيدر سلمان)) لأن أي تطور أو تغير أو التباس يظهر على البطل أو الشخصية نراه يتمظهر بصورة مباشرة في طريقة تسمية المؤلف له))⁽³⁾ فيقول ((من الواضح ان حيدر سلمان عاد بقوة ذلك الوقت إلى الموسيقى ... وقد احيا الكثير من الحفلات الموسيقية في أماكن متعددة ، وهي أماكن مختلفة كلياً عن التي كان يحيي بها حفلاته في مضي إن حيدر سلمان عاش هذا الزمن بحياة جديدة تماماً ولم تكن هذه الحياة مضطربة كما كانت وإنما كانت حياته على درجة كبيرة من التركيز والانتباه))⁽⁴⁾ ، إن تعلق هويات حارس التبغ بالوطن - العراق واسقاطاته وإن كان وهماً يمثل النسق الأكثر حتمية في إتمام جزء كبير من ذاته ووعيه الروحي والموسيقي والفكري ، فالوطن لا يمثل بقعاً ومبان مشيدة صماء وصروحاً قائمة بل إنها تصبح علامات سيميائية تنطق بخطابات الانسان ودوافعه وهواجسه الفكرية))⁽⁵⁾ إذ يقول الراوي عن هوية حيدر سلمان وتعلقه الروحي بالموسيقى كموسيقار وكمثقف ((لقد شعر حيدر سلمان انه يشرع في خلق شيء محسوس أحس في البداية انه ينقاد إلى أشياء غير معينة ، هي غير ملموسة ولكنها محسوسة ، انه إيمان دون شك ، إيمان كان يشعر به كما لو كان يجمع شتات الأديان في داخله ، اليهودية التي عرفها وهو طفل ، المسيحية التي تتسرب إليه من خلال الموسيقى الكلاسيكية ، الاسلام الذي اصبح يعيش في

(1) حارس التبغ / 165-173 .

(2) الرواية العربية ما بعد الحداثية (تقويض المركز - الجسد- تحطيم السرديات الكبرى) / د.

ماجدة هاتو هاشم / 195 .

(39) ينظر: شعرية التأليف / بورييس اوسبنسكي / 33 .

(4) حارس التبغ / 183-185 .

(5) ينظر: الانظمة السيميائية / دراسة في السرد العربي القديم / د. هيثم سرحان / 71

داخله)) (1) إنها الموسيقى وفعلها الذي يجعله يخلق ، ويتسامى ويولد من جديد ويتوحد بالأشياء وبالموجودات وبالطبيعة ، لكنها الثورات والانقلابات التي يهجس بها من خلال نبض الشارع والقوة الجماهيرية التي يرى انها تعبت وتقتل وتدمر ، انها تجعله يهبط ويتوارى خلف هوية جديدة مغايرة ، فهوية حيدر سلمان وشخصية المحروس في ديوان دكان التبغ تغيب مرة ثانية بعد نشوب الحرب العراقية الإيرانية ، إذ يهجر ويستبعد حيدر سلمان بسبب التبعية ((أنتم تبعية إيرانية يجب أن تهجروا الآن إلى إيران)) (2) ويقدم الراوي وصفاً لمشهد التهجير التراجيدي ، إذ تموت زوجته طاهرة أثناء التهجير ويساق ابنه حسين لمصير مجهول فيقول ((قالت له طاهرة انها تريد ان تستريح قرب شجرة ، فأسندها على كتفه وجعلها تجلس ببضع ، ثم رمى نفسه إلى جانبها ، نظر في الأفق البعيد ، فشاهد هذه الحشود التي تتقدم وهي تبكي ، فالإنسان هو الكائن الوحيد على الأرض الذي يتمتع بالقدرة على تعذيب بني جنسه الآلاف من النساء والرجال الذين ينتزعون من ارضهم ، من منازلهم ويذهبون إلى أرض غريبة عليهم بالكامل...)) (3) وهكذا يبعد وينفى حيدر سلمان ويحمل معه ثقل هويته إنه المأزق والأزمة ذاتها إذ يهجر حيدر كما هجر يوسف سامي لأننا ((نشقى بفعل إدراكنا للغياب ... إذ يصبح الغياب سبباً للوجود)) (4) ورغم ان الوطن يقابله حتمية الموت إلا ان الشخصية تحتمي بهوية تتلبسها ، أنه مازال يدور في ذات الحلقة المفرغة ويخلق من العدم والغياب والنفسي والارتحال حضوراً أقوى فيخلق قناع هوية حيدر سلمان ويتنكر بهوية (كمال مدحت) وهذا ما يؤكد د. عبد الله ابراهيم بقوله ((فالجماعات تتعرض لتحويلات قيمة كبرى تدفع بها لاكتساب هويات جديدة والتخلص من القديمة ويستعير الافراد أقتعة يتكرونها بها من أجل تخطي الصعاب ... وفي الحاليين يقع تحول في الهويات على مستوى الاقلييات العرقية والمذهبية والفردية ، فتعيد الجماعات إدراج نفسها في سياق هويات جديدة ،

(1) حارس التبغ / 209- 210 .

(2) حارس التبغ / 230 .

(3) حارس التبغ / 232 .

(4) جماليات التنشيط / 21-22 .

ويختبئ الأفراد وراء أقنعة يحتمون بها من الاخطار ، ومن الصعب إغفال أثر المرجعيات الدينية والسياسية في كل ذلك)) (1) وإذ تعول الشخصية على هوية جديدة وتعيد تفكيكها وتركيبها في محاولة دائبة لتغيير وتعديل وإقامة ما انقض من حياته عشية الحروب والانقلابات والثورات والصراعات المتعاقبة ، لأن الهوية عندما تتعالق بهويات الاخرين فإنها تؤدي الى توليد وانتاج قصص ذوات نسق ثانٍ تتشابك وترتبط بدورها مع قصص أخرى)) (2) لاسيما انها - الشخصية - ظلت لاجئة في ايران لسنة كاملة لتهرب بعد ذلك إلى دمشق بجواز سفر مزور وباسم وهوية كمال مدحت ، شخصية عراقية سنية ويتزوج من سيدة عراقية تدعى نادية العمري الموصلية الأصل والتي أنجب منها ولده (عمر)، وخلف هذه الهوية التي توارى بها عاد إلى العراق وبقي فيه عقدنين من الزمن حتى مقتله في عام 2006 إثر التوتر الطائفي الذي شهده البلد أبان تلك الفترة ، لقد عاش كمال مدحت بروح الموسيقى وتقرب من السلطة الحاكمة آنذاك وأقام علاقات وطيدة مع شخصيات متنفذة ومقربة من زمام الحكم حتى أصبح من اكثر الموسيقيين شهرة في العراق والوطن العربي ، ويلاحظ أن الشخصية تعترف بتحولاتها وتشظي هوياتها على لسان الراوي العليم أذ تقول ((إنه مسرح كبير يحدث فيه على الدوام التباس الشكل بالمعنى ، ها هي الحياة أمامه ، أنها ليست سوى أداء ممثلينلم يكن قبل يومين سوى الموسيقار العراقي حيدر سلمان ، اليوم أمر آخر عليه أن يجد لنفسه أداء آخر ، المسرحية القديمة انتهت ، سيدخل عالماً جديداً وحياء جديدة)) (3) فيوسف أو حيدر أو كمال يقف على أعتاب مرحلة جديدة وهوية جديدة وحياء مختلفة ونقطة تحول هوياتي لأنها لا تطيق العيش خارج حدود الوطن لا في إسرائيل أو ايران أو سورية التي اختارها لقربها من بغداد فهل يحق لنا أن نفترض إن ما تفعله الشخصية رغبةً في انتماء أم هو وهم الانتماء أم هو منفى داخلي اختياري ورحلة معاكسة مضادة

(1) السرد والاعتراف والهوية / عبد الله ابراهيم / 149 .

(2) بول ريكور الهوية والسرد / 39 .

(3) حارس التبغ / 235 .

للتهجير والافتلاع والنفي عن الوطن إذ ((يصبح الوطن في وقت واحد مكاناً للجذب بوصفه مسقطاً للرأس ، وللطرد بوصفه مكاناً للحياة لا تتوافر للشخصية مكنة نفسية على هجره ولا نسيانه ولا يمكن العيش فيه إلا بالتخفي))⁽¹⁾ والحياة وراء هويات مختلفة ((إذ دبرت له المنظمة جواز سفر مزوراً لشخص توفي قيل أيام في حادث سير ، كان اسم صاحب الجواز كمال مدحت حسن تاجر عراقي متزوج من سيدة عراقية تدعى نادية العمري هذا كل ما يعرفه عن هويته الجديدة ما أن قرأ اسمه الجديد ورأى صورته في الجواز حتى شعر أن شخصية حيدر سلمان قد ذابت تماماً شعر بغربة كبيرة عنها كأنها شخصية مفروضة عليها شعر بانتماء أكبر لشخصيته وهويته الجديدة ، شخصية كمال مدحت))⁽²⁾ فالقارئ يقف بمواجهة ثلاث شخصيات وثلاث هويات سرديّة وجميعها كما تظهر القراءة شخصيات مكتسبة تحيل على ((هوية مكتسبة فعلها في واقعها هي بالضبط حركة توليد الفوارق والاختلافات ، إنها انتقال ملتبس ملتو من مخالف لآخر ، انتقال من طرف التعارض للطرف الآخر))⁽³⁾ فمن خلال لعبة الهويات يكتشف ((جوابه الأساس عن هويته ، كل واحد منهم هو وجه من وجوهه ، إنهم لوحة تكعيبية بثلاثة أبعاد لوجه واحد))⁽⁴⁾ لأن العلاقة القائمة بين هذه الهويات ((تتجاوز مجرد التعرف على الحدود المرسومة بينهما فكل طرف يتوسل الآخر لضرورة وجود))⁽⁵⁾ وبهذه الهوية الأخيرة تختتم الرواية إذ يقتل الموسيقار كمال مدحت ، هوية كمال مدحت هذه ((تلتهم ما جاورها وما سبقها من هويات))⁽⁶⁾ ويبدو أن لهاث الشخصية بهوياتها الثلاث المتباينة للبقاء بالوطن أو العودة إليه يضعه على نهاية الطريق الحتمية المتمثلة بالموت - الموت - النهاية التراجيدية لحلم وهم الانتماء أو كما نحسبه هم الانتماء

(1) السرد والاعتراف والهوية / 149 .

(2) حارس التبغ / 252 .

(3) ينظر: بول ريكور الهوية والسرد / 26-27 .

(4) حارس التبغ / 328 .

(5) البنية السردية في الخطاب الروائي الجزائري المعاصر / د. عشي نصيرة / 187 .

(6) السرد والاعتراف والهوية / 155 .

الذي ظل يراودها ، أنه وجود متواصل حتى الموت ونهاية فعلية للعبة الهويات المستعارة التي اجترحتها الشخصية وامتثلت لها إذ تنبأت بموتها في احدى رسائلها (لفريدة روبين) الزوجة اليهودية الاولى التي بقيت الشخصية على تواصل معها رغم التحول الهوياتي والنفي والاقتلاع والتهجير إذ يقول مستسلماً للموت ((سيصل الموت قريباً لن أعيش طويلاً ، صحيح اني سأقاومه أول الامر ولكني سأستسلم له بحب))⁽¹⁾ إذ يصف لكان دافع الموت والاستسلام له بأنه حنين للعودة الى تلك العلاقة التي يمتزج فيها الطفل بالأم ويصبحان شيئاً واحداً))⁽²⁾ ويقول ايضا مستشرفاً الموت ((سيقتلونني أنا اعرف ذلك ...))⁽³⁾ إنها حتمية الموت التي اختتمت بها الرواية فتموت الهويات الثلاث بموت الهوية الاخيرة كمال مدحت ، هذا ما كشفت عنه مسار الاحداث السردية لتتحول رواية حارس التبغ الى وثيقة سردية عالجت موضوع الهوية وتحولاتها وأثر المرجعيات السياسية والفكرية والدينية والثقافية وتفاعلاتها وتجلياتها في انبثاقها وبلورتها

ثانياً: _ حارس التبغ بين هاجس التحول الهوياتي والسمو الموسيقي

مما لا شك فيه إن لكل رواية أعرافها وتقاليدها الروائية المميزة ومقولاتها الفكرية والثقافية والتاريخية والانسانية التي تحاول بثها لتصل للقارئ وتجاوزها بمختلف الاساليب والسبل ورواية حارس التبغ تلك المدونة السردية التي امتلكت اعرافها وتقاليدها ورؤاها الخاصة وذلك من خلال التمازج والاندماج والاستعانة بغيرها من الفنون لاسيما (فن الموسيقى) الذي فرض حضوراً جلياً

(1) حارس التبغ / 330 .

(2) ينظر : المتخيل الثقافي ونظرية التحليل النفسي المعاصر / السيد ابراهيم / 48 .

(3) حارس التبغ / 347 .

وواعياً ومقصوداً وهذا يعود ربما إلى ((تهاوي الحواجز الفاصلة بين أنواع الفنون على النحو الذي يشير إلى رغبة في التوصل إلى تعبير شامل عن القيم العامة ... إن كل الفن يطمح دائماً إلى الوصول إلى حالة الموسيقى تجد لها مبرراً في الرواية ...))⁽¹⁾ ، هذا المبرر مثل الدافع القوي لخروج النوع الروائي وانزياحه وكسره لكافة الأطر والتحديات التي تقيدته وتغثاله حريته إذ ((أصبح جزء لا يتجزأ من وظيفة الممارسة الفنية الحديثة التي غالباً ما توصف بالترابط الوسائطي والتواصلية ، والتي تتعرض على الدوام لمزيد من التغيير والتطوير))⁽²⁾ ونتج عن ذلك ما اطلق عليه (تداخل الفنون) الذي أسهم في تأسيس جماليات تلقي وتداول جديدة ومغادرة أعراف قرآنية قديمة ومتداولة قائمة على الفصل بين التخصصات والانواع تمهيدا لإحلال أعراف جديدة قوامها المزج والتداخل والاختلاط والاستعارة))⁽³⁾ وهذا الاختراق للحدود والتداخل والاستيعاب لفضاءات متباينة الذي امتازت به الرواية ((نابع من رغبة في إثراء جوهرها وتنويع خطاباتها وتكثيفها ، فلم تعد الرواية / الكتابة ابداعاً مغلقاً على ذاته بل صارت ميداناً رحباً لتلاقح الاجناس والفنون والمعارف وتفاعلها))⁽⁴⁾ إن هذا الاحتفاء والتعلق والتداخل مع فنون أخرى يجعلنا نفهم كما يدعو كونديرا إلى إن ((تأليف الرواية يعني مجاورة فضاءات عاطفية مختلفة ، وإن هذا هو في نظري فن الروائي الأشد حذقاً...))⁽⁵⁾ وبالتالي فإن هذا يمنح بقوة تمددا وتوسعا في الأفق والقيمة للفن الروائي ، ويبدو أن رواية حارس التبغ من الروايات التي نزعت إلى ارتياد آفاق فن الموسيقى والاقتراب منه ومجاورته واستعارة الفاظه واقتحام عوالمه السحرية فترددت الالفاظ والآلات الموسيقية التي كانت الشخصية

(1) الزمن والرواية / أ.أ. مندلاو / 65-69 .

(2) افق يتباعد (من الحدائثة إلى بعد ما بعد الحدائثة) / 83 .

(3) ينظر : تراسل الفنون في كتابات واسيني الاعرج الروائية / دليلة زغودي / 1 / المركز الجامعي

- قسم اللغة العربية - تلمسان مغنية - الجزائر / 1 .

(4) تمثلات انفتاح الرواية على الفنون الاخرى - قراءة في روايات واسيني الاعرج / ايمان

هتشيري / 1 .

(5) فن الرواية / 94 .

بهوياتها الثلاث المتحولة تتداولها وتستعيض بها عن عالم واقعي فقده ، أو عن هوية تشظت أو سلبت ، فالموسيقى والرواية تعد أدوات صالحة لارتداد الواقع وتبديله وتجاوزه إذ تواتر في الرواية الحديث عن (الفيولون والتوليفات الموسيقية والسوناتا والكونسرفتوار والبروفات والعروض الموسيقية) إذ يقول الراوي عن حضور هوية حيدر سلمان الموسيقية ((في هذا المسرح ايضا عزف حيدر سلمان بعد عام من زواجه من طاهرة عزفا منفرداً للمقطوعة رقم 4 من دي - مول : هنري فيوتان بعبقرية وتنغيم مرهف ، مع نغمات مرتفعة وخط رائع)) (1) فتمثلات الموسيقى وعوالمها الروحية حاضرة وثابتة رغم تبدل الهويات واختلاف الأفتعة إذ يصل يوسف سامي اليهودي الهوية لقناعة راسخة أنه مع الموسيقى يتجرد الانسان من ثقل الهويات ويتحول لإنسان حر...فنان يتعالى على صخب الأدوار والأفتعة واللبوس والأديان ((وكان يريد أن يتطابق مع الموسيقى ، الموسيقى لا دين لها ، الجمال يدعو للتطابق مع شيء أثيري ، مع إلهلقد رفض يوسف أن يرتدي زياً محدداً ، لم يقبل أن تعلق عليه أي بطاقة ... ولذلك كان يوسف يفرح فرحاً غامراً في عزفه للموسيقى لا لأنه يحب الموسيقى فقط ، إنما لأنه ما أن يصعد على خشبة المسرح حتى تسقط هويته مباشرةً غير أن هذا الفرح كان يذوب ويختفي في الصباح ، يذوب تحت ضغط الحياة ووظأة الهويات ، فهو ما أن يكون واقفاً على خشبة المسرح لا يضعه أحد في خانة أو تصنيف)) (2) فالشخصية بهوياتها المتبدلة تتوحد مع الموسيقى ، ورغم قساوة التشظي الهوياتي الذي اجبرت عليه واضطرت لتداوله لمواجهة واقع عقيم إلا أن الرواية ((ينبغي لها أن تكلمنا عن عالم لا يمكن أن تحدث فيه الموسيقى وحسب ، بل تكون فيه الموسيقى ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها ، وأن تظهر لنا كيف ان اللحظات الموسيقية لدى بعض الاشخاص : من استماع ودراسة وتأليف هي مرتبطة بوجودهم)) (3) إن الحضور المولع

(1) حارس التبغ / 177 .

(2) م . ن / 153 - 154 .

(3) بحوث في الرواية الجديدة / ميشال بوتور / 40 .

للموسيقى والشغف البالغ بالأحان والتوليفات الموسيقية أدى بالمحصلة النهائية إلى ((ظهور عوالم سردية متنوعة في قيمها وتصوراتها ومواقفها ، أدت بدورها إلى إثراء البنى الدلالية للرواية)) (1) ولذلك وحسبما تظهره القراءة إن هويات حارس التبغ المتشظية أدركت امكانية وجودها وفاعليتها عبر وسيطها الروحي - الموسيقى -الذي وحدها وحلق بها وحيواتها المتضادة نحو التسامي والعلو ، فشكلت هويات حارس التبغ ((علاقة حوارية مع بعض المقولات الموسيقية لخلق الإتساق بين وحدات النص من جهة وبين المتلقي والرواية من جهة أخرى)) (2) لقد مثلت المعرفة الموسيقية رافداً سردياً تسرب للبنى الروائية و أغنى العملية السردية ، فكانت الموتيفات والافكار والتنويعات الموسيقية تسري اصواتها وتتدفق أصدائها في وجدان الشخصية الروائية انتماءً وتطبيقاً وممارسةً وحضوراً حياتياً بالرغم من اوجاع الاختلاف والانقلاب الهوياتي المتواصل والمتزامن مع النداعيات السياسية والاجتماعية، فالموسيقى تعني للشخصية ((عملية الغياب توصلاً لحضور أقوى)) (3) ولأجل أن تنتصر روح الأنسان - الفنان - الموسيقي حاولت الشخصية بهوياتها المتشظية الإجابة عن أسئلة ملحة طرحها الواقع بتبدلاته عن طريق الحس الموسيقي المرهف ، فالموسيقى توحد التفاصيل المختلفة وتسمو بالإنسان ، إنها الانتصار الوحيد في خضم الهزائم المتكررة ، إذ يبين هذا المقطع الروائي الذي استنبطه الراوي من رسالة يوسف سامي إلى زوجته ذلك فيقول ((كانت الافكار تختلط مع بعضها ، بينما هو يزداد حماسة في الموسيقى ، يقول هل يمكن أن توحد الموسيقى الناس المختلفين ، كان يعتقد أن الموسيقى يمكنها أن تكون رمزاً لكل الطوائف وكل المذاهب والاديان والأثنيات .. لقد حاول أن يمزج الموسيقى الغربية التي يعشقها بالموسيقى العراقية ... كان يعتقد أن العقول يمكنها أن تزداد جرأة بالموسيقى يمكنها أن تبلغ درجة السمو)) (4) فقد تخللت المظاهر والروح الموسيقية الفقرات الحكائية

(1) السردية العربية الحديثة / الابنية السردية والدلالية / عبد الله ابراهيم / ج 2 / 141 .

(2) الرواية العربية والفنون السمعية البصرية/ د. حسن لشكر/ 79 .

(3) ينظر : النقد الثقافي المقارن / حفناوي بعلي / 170- 171 .

(4) حارس التبغ / 150 - 151 .

للمرواية وأنعشت منطقتها المتخمة برائحة النفي والتحول الهوياتي والموت وحلقت به بعيداً عن رتابة السرد لخلق إيقاع خاص ومتناغم، إن الفن الموسيقي بالنسبة ليوسف أو حيدر أو كمال هو فن اكتشاف الأماكن والألوان والأبعاد، فن التحرر من مخاوف الحياة ورتابة المألوف والشعور بموسيقى الكون ((فالموسيقى وحدها القادرة على تغييب الجدران والحواسر والظلام، وحدها التي تجلب الأضواء والبلور ذا الانعكاسات، وتمنحه الأعصاب المخدرة..... الموسيقى والمرأة خفتا عليه أساه، وجعلتاه يرتعش ويتناغم مع موسيقى الكون كله))⁽¹⁾ بالموسيقى شعرت الهويات المتشظية بالوجود وبالعدم في الوقت ذاته، بالحضور والغياب، بالتوحد والتناغم والتلاشي مع الموجودات وبالموت وباحتميته اللانهائية

الخاتمة

وفي نهاية رحلتنا مع رواية حارس التبغ وهوياتها المتشظية لا مفر لنا من أن نستذكر مقولة الروائي (ميلان كونديرا) التي يؤكد فيها: إن السبب الوحيد لوجود الرواية هو أن تقول شيئاً لا يمكن أن تقوله سوى الرواية..... وما قالتها رواية حارس التبغ يفوق ما نوجزه من نتائج.

1- تعد الاستعانة بلعبة الهويات المستعارة بوصفها أقتعة رمزية يعبر من خلالها عن وعي بواقع سياسي وثقافي وفكري مأزوم يؤشر لدور المرجعيات السياسية والفكرية والدينية في بلورتها وتعميق فعلها.

2- رغم علاقة التجاذب الظاهرة بين الهويات إلا أن هذه العلاقة إنمازت في ذات الوقت بكونها علاقة وجود وهدفها تحقيق الانتماء المفقود، وانها رغم اختلافها الظاهري يحدها الوطن بحدوده ويجمعها الموت باحتميته في النهاية.

3- هويات حارس التبغ تحاول في تشظيها أن تبلغ كمال الوجود أو حلم الوجود الذي ينطوي على قدر كبير وموجع من الغياب.

4- يلاحظ ثبات الفعل الموسيقي في مقابل غياب الحضور الهوياتي الحقيقي وضبابيته واختلافه وتشظيه وتحوله بين الفينة والأخرى.

(1) حارس التبغ / 316.

- 5- التوحد مع الموسيقى بصفتها فن استعادة الذات بعد فقدان وخوفاً من النسيان ، فكلما تحاصر الذات وتتوارى الهوية ويفتقد الانتماء يعلو صوت الموسيقى ويتعالى حضورها الخلاق .
- 6- رغم تفرد كل هوية من هويات حارس التبغ إلا أنها تشير في النهاية إلى هوية جمعية ووجود جماعي حقيقي .
- 7- جاء التعبير بالتشظي الهوياتي كنوع من المفارقة التهكمية الساخرة من الماضي والتاريخ والحاضر الأليم والواقع وزيف الثورات والاطوان التي تحمل في طياتها خبرة المنافى وكذب الآيدلوجيات والشعارات الديمقراطية
- 8- مثل الوطن القيمة الوجودية العليا لهويات رواية حارس التبغ وكان للنفي والتهجير والافتلاع سبباً للإحساس بالفقد لا بمعناه العرضي أي بانفصاله عن الذات وحسب بل من خلال تدمير الذات بالكامل .

References

1. A.A. Mandelao, **Al-Zaman wa al-Riwayah**, 65-69.
2. Abdullah Ibrahim, **Al-Sard wal-I'tiraf wal-Hawiyyah**, 149.
3. Abdullah Ibrahim, **Al-Sardiyyah al-Arabiyyah al-Hadithah, Al-Abniyyah al-Sardiyyah wal-Dalaliyyah**, Vol. 2, 141.
4. Abdulrahim Al-Alam, **Possible Chaos: Studies in Arabic Narrative**, 65-66.
5. **Aesthetics of Fragmentation: Critical Studies in the Literature of Edward al-Kharat and Badr al-Daib**, 13-14.
6. Alex Michelletti, **Identity**, 129.
7. Al-Farabi, **Kitab Al-Huruf**, 115-116.
8. Ali Badr, **Haris al-Tabgh**, 33.
9. Al-Jurjani, **Kitab Al-Tarif**, 278.
10. **Al-Sard wal-Hawiyyah (Studies in Autobiography, Self, and Culture)**, Edited by Gertz Brockmeier and Donald Cobo, 18.
11. Al-Sayyid Ibrahim, **The Cultural Imaginary and Contemporary Psychoanalytic Theory**, 48.
12. Amani Abu Rahma, **Ufuq Yataba'ad (Min al-Hadathah ila Ba'd Ma Ba'd al-Hadathah)**, 52.

13. Ammar Halassa, **(Identity in Narrative Discourse Between the Power of Language and the Dominance of Belonging,** International Conference on Narratives, University of Ouargla, Algeria, 354.
14. Boris Uspensky, **The Poetics of Composition,** 33.
15. Dalila Zeghoudi, **Intersections of the Arts in the Writings of Wassini al-Araj the Novelist,** 1, University Center - Department of Arabic Language - Tlemcen Maghnia - Algeria.
16. Dr. Ashi Nasira, **The Narrative Structure in Contemporary Algerian Fiction,** 187.
17. Dr. Haitham Sarhan, **Semiotic Systems: A Study in Ancient Arab Narration,** 71.
18. Dr. Hassan Lachkar, **The Arab Novel and Audio-Visual Arts,** 79.
19. Dr. Majida Hatou Hashem, **Al-Riwayah al-Arabiyyah Ma Ba'd al-Hadathiyah (Undermining the Center - Body - Breaking the Grand Narratives) ,** 195.
20. Dr. Shukri Aziz Al-Madi, **Patterns of the New Arab Novel,** 109.
21. Dr. Wafiq Slayteen, **Questioning Identity and Critiquing the Logic of Privacy,** Conference on National Identity - Readings and Reviews in Light of the Syrian Crisis, 6.
22. Fahd Saad Al-Duwaikh, **Image of the Other in Poetry from the Umayyad Period to the End of the Abbasid Period,** 20.
23. Hafnaoui Baali, **Comparative Cultural Criticism,** 170-171.
24. Hassan Hanafi, **Identity and Alienation in Arab Consciousness,** Tubayyan journal, Issue 1, Volume 1, Summer 2012, 11.
25. Ibn Manzur, **Lisan Al-Arab,** Bab Al-Sheen - Shadha, Vol. 4, 2268.

26. Iman Htsheri, **Representations of the Novel's Openness to Other Arts - Reading in the Novels of Wassini al-Araj**, 1.
27. Michel Butor, **Research in the New Novel**, 40.
28. Milan Kundera, **The Art of the Novel**, 106.
29. Mohammed Fadel Al-Mashlab **Iraqi Intellectuality in the World of Ali Badr the Novelist: A Study of Visions and Representations**, 9.
30. Nasr Hamid Abu Zayd, **Text, Power, Reality: Religious Thought Between the Will to Knowledge and the Will to Domination**, 27.
31. Nihal Mahaydat, **Al-Akhir fi al-Riwayah al-Niswiyah**, 11.
32. Paul Ricoeur, **Identity and Narrative**, Hatem Al-Werfali, 31.
www.iki,https://ar.m.wikibedia.org.33
34. Yamna Al-Eid, **The Arab Novel - Imagination and Its Artistic Structure**, 280.

The Fragmentation of Identity in Ali Bader's The Tobacco Keeper

Sahar Risan Hussein*

Abstract :

Identity is located at the other side of otherness. It is crystalized as an interactive and transformed relation with the change of circumstances and the contexts based on concepts of evolution and the change of the historical movement. Identity is a lived human experience not restricted to the personal name only. It accompanies existence because it represents real lives, experiences, and times. Identity is constituted through other identities, identical or approximate, thereby constructing a melting point and holding non-existing things. Entity is transformed into a separate or unified hidden existence where it exceeds the boundaries of the self , it positions itself outside the narrow and compelling circles , and it enjoys freedom in search of distinction and life and living the identity of the other. No doubt, there are a host of challenges that face identity and embrace in Ali Bader's *The Tobacco Keeper* . Such challenges force identity to overpass the idea that it is a besieged soul through openness and the domination over the other's identity which led it to the boundaries of fragmentation and non-existence.

Key words : identity؛ affiliation؛ music

*Assist. Prof./ Department of Arabic Language/ College of Education for Girls/ University of Mosul